من دمشق الى صيدنايا

لحضرة المؤرخ المدقق والبحاثة المحقق الاستاذ

عيسى اسكندر افندي معلوف بدمشق

(تتمة المنشور في العدد الماضي)

وكنائس الدير الكبير هي : كنيسة القديس دمتريوس وكنيسة شرقيها خربة وكنيسة القديس ثادرس في حارة الراهبات . وكنيسة البربارة عند المدفن الى الشمال . وكنيسة العذراء.

وأبنية الدير الآن قسمان (قسم) قديم لايزال على طرازه السالف بصغر غرفه وضيق أبوابه . ومعظمه عقود حجرية متينة يؤلف الطبقة السفلى . و (قسم) بني على طراز حديث وبعضه بمال المحسنين وبعناية البطاركة وقد نقشت أسماء الباذين على مداخله

ودوائره ثلاث : دائرة البطريرك . ودائرة الراهبات . ودائرة للمصطافين والزوار .

ويقصده للمشتين وغيرهم للاصطياف فيه بعيالهم فينزلون فيه أشهراً على الرحب والسعة .وهو جيد المناظر والهواء والماء . وقد سهل المسير اليه بعد فتح طريق للعربات . تنهبها السيارات التي تنسي بسرعتها مشقات السفر فكثر زواره في هذه السنين المتأخرة بعد ان كان الوصول اليه متعذراً لبعد المسافة وصعوبة المسير

وأكبر حفلة تقام فيه كل سنة هي يوم عيد مولد السيدة في الثامن من ايلول فيتقاطر اليه الزوار من كل صوب حتى من الاماكن البعيدة ويقيمون أياماً بالقصف والالعاب والأغاني . واشتهر عيد مولد السيدة عند العامة حتى في العراق ومصر وغيرهما باسم (عيد صيدنايا)

وكان دير الرهبان في زاوية الدائرة البطريركية الآن بالطبقة السفلى منها ولايزال على حجارة البناء السفلى الى الآن أسماء كثيرة من الكهنة والرهبان الذين اشتهروا بتعرقيهم الى البطريركية والاسقفيات . وكان هؤلاء الرهبان هم الذين يطوفون لجمع الاحسان للدير في القديم . والظاهر من استقراء التاريخ ومن كتاب بيد غبطة العلامة السيد غريغوريوس الحداد بخط البطريرك كيرلس حفيد البطريرك مكاريوس الزعيمي ان الغاء دير الرهبان كان في عهده أو بعده بقليل وذلك في أوائل القرن الثالث عشر للميلاد . لأنه يشكو فيه من سوء تصرفهم

وروى الارشديا كون الزعيمي في رحلة والده الى روسية المخطوطة قوله : « انه كان لبيت البطريرك عادة من زمان البطاركة السالفين أن يجيهم في كل جمعة حملين خمرة من صيدنايا فانقطعت العادة في غيابنا فتعبت كثيراً واجتهدت حتى أجريتها » آه . وفي رسالة البطريرك كيرلس الآنفة الذكر الى رئيسة صيدنايا ما حرفه : « وبوصول المكتوب اليك ترسلي لنا حمل بغل فرده خل طيب وفرده نبيذ طيب من كل بد وسبب لأننا بعازته نهار غداً » آه

أديار وكنائس صيدنايا الاخرى

ذكر الرحالة الانكليزي مندرل في سياحته في أواخر القرن السابع عشر ست عشرة كنيسة وديراً بعضها أطلال ودوارس ولقد تنازعت الطائفتان الارثوذكسية والكاثوليكية هذه الديارات فاقتسمتها كما سترى ورممنا بعضها وبقي الآخر انتظاراً بالية

فمن المعابد التي بيد الارثوذكس . الدير الكبير وما فيه من الكنائس المار ذكرها . وكنيسة القديس يوحنا في الشمال الغربي على بعد سمانة متر . والقديسة تقلا . والقديس سمعان (وهي خربة) وكلها في داخل البلدة . أما في خارجها فكنيسة القديس خريستوفورس الى الجنوب الغربي من الدير قرب دير مار جرجس .

وهذا الدير (مار جرجس) رممه أخيراً أسقف صيدنايا وتعلولا وزحله الارثوذكسي ووجدت أمامه مغارة قديمة . وفي أعلى الجبل المطل على الدير (مار شربين أو شربل) أي الكروبيم وهو أطلال فيه كتابات يونانية

والمعابد التي بيد الروم الكاثوليك هي في داخل البلدة كنيسة الجامع أو آجيا صوفيا (الحكمة الالهية) وكنيسة القديسين بطرس وبولس (١) المعروفة بالقوالبة والى شرقيها كنيسة القديس نقولاوس عامرة قليلا وكنيسة التجلي وكنيسة الصعود وهما خربتان وتسميها العامة مار تعلى وتجلى . ثم في القرية كنيسة الرسول أندراوس وكنيسة القديس بولس الحبشي وفي خارج القرية على رابية في شماليها تبعد نحو نصف ساعة كنيسة القديس توما مرممة وفيها آثار قديمة وأعمدة وكتابات يونانية .

فضلا عما تقر في الصخور من المناسك القديمة مثل سيدة البزاز (٢) الى الشمال الشرقي وهي منحوتة في صخر كبير شاهق . الى غير ذلك من الآثار والاطلال .

ولا عجب في كثرتها فان تلك المرتفعات البديعة المواقع كانت هياكل لكثير من آلهة الامم القديمة تحولت الى كنائس وديارات على عادة الاقوام بعد تغلب المسيحية على الوثنية

---

(١) وهو بناء مربع كالبرج منحوت الحجارة ضخمها في شرقي البلدة وهو مشيد على صخر ضخم من الصخر الكبير القائم عليه دير السيدة وربما كانت مقبرة طول كل من جوانبه نحو عشرة أمتار وفي زاويته درج لولبي للانحدار الى اسفله المنتهي بأربع بلاطات عريضة تسمى (القوالبة) ويدل انه كان أحد الديارات الكثيرة الوجود في سورية المعروفة بالمكتوبوتي أي بمجتمع الرهبان في دير وضمه سكينا أي المناسك المتفرقة وذلك على زمن البزنطيين ومدخله في الشرق الجنوبي بباب عظيم وضع فيه حجر ونحت فيه وتاج صغير بلاو فواتح وثلث وعرض ثلاثة أرباع الذراع فالذاهب بمضطر الداخل فيه ان ينحني ليصعد الى سطحه بهذا الدرج . وتكتنفه المقابر ولا سيما في جهته الشرقية اذ توجد مقبرة منقنة فيها اثنا عشر ضريحا

(٢) تعتقد العامة ان المرضع اذا جف لبنها او تألمت من وجع ثديها تذهب الى جرن مياه هناك فتغتسلها به او تزور المحل فتشفى ويكثر درها والثدي باللغة العامية البز) جمعه (بزاز) و (ابزاز) عندهم

خزانة الكتب في الدير الكبير

كانت في الدير الكبير والاديار المحدقة به خزائن الكتب القديمة ولا سيما ما كان يستعمل للصلوات واقامة الفروض الدينية من سريانية ويونانية وعربية . فاجتاحتها النكبات ولم يبق منها الا خزانة الدير الكبير بعد ان لعبت بها الأيدي مدة وأحرق ما أحرق ونهب ما نهب ونقل ما نقل الى خزائن أوربة وغيرها من دينية وتاريخية وأدبية فبقي منها الآن نحو ثلاثمائة مجلد معظمها مخطوط أقتصر على وصف أهمها الآن وعندي وصف كل كتاب من مخطوطاتها

(١) (انجيل تترى) أي متتابع غير مقسم على الايام فهذا يسمى انجيل مياومه أو مشاهرة وهو بخط جميل جداً مذهب المقاطع وأول الفصول وفي أوله رق غزال عليه صورة أحد الانجيليين الاربعة غير ظاهر الوجه وكتابة سريانية . يبتدي بمقدمة جميلة وفهرس وجداول في ١٤ صفحة مجهول الناسخ والزمان

(٢) كتاب الابركسيس أي أعمال الرسل المنسوب الى القديس لوقا الانجيلي يتضمن الرسائل اليومية عند الشرقيين وتفسير رسائل الاحاد بخط كبير الحروف بسيطها نسخ سنة ٧٠١٥ لآدم (الموافقة ١٥٠٦ م)

(٣) أنجيل مشاهرة — بخط جميل فيه صور الانجيليين الاربعة ووراء كل انجيل من الآحاد وتفسير مختصر نسخه اسحق بزي قس بن القس ابراهيم سنة ٧٠٠٨ لآدم (الموافقة ١٥٠٠ م) في شهر حزيران

(٤) قنداق لرؤساء الكهنة باليونانية وفي أوله رسالة من البطريرك سلفسترس الانطاكي مرفوعة الى بابا سليسترس عندما شرطنه مطرانا على كرسي اللاذقية تسمح له بالتصرف بكرسيه ضمن القانون

(٥) كتاب معيّد أي خدمة جميع الاعياد — وهو مختصر الميناون خط بخطين يد الشماس جريس بن فرح التلي وقفه لدير مارجرجس في حزيران سنة ٧٢٢٢ لآدم (١٧١٤ م)

(٦) تريودي بخط جيل كتب بمقلين عربه عن اليونانية الياس بن مسرة بن الحاج سعاده برئاسة يواكيم مطران بيروت نسخ في أول تشرين الاول سنة ٧١٩٨ لآدم (١٦٨٩ م) وقفه مطران عجلون فوتيوس بن يوسف السلال المدعو باسم عزه عبد النور من أنفه (بكورة لبنان)

(٧) الناموس أو قوانين الجامع والآباء بخط جيل مذهب المقاطع بمقلين غير مفسر جاء في آخره (عني به الامير الاجل جمال الدين وهبة الله (١) وكتبه (أبو الصفر بن أبي النور بن عيسى بن عمرو النصراني)

(٨) الرسائل الكنسية على مدار السنة مفسرة بلغة بليغة وخط جيل جداً ونظيف وقد عزي هذا التفسير الى البطريرك يوحنا الذهبي الفم نسخه يوحنا بن فرج الله ابن المرحوم ابراهيم بن جوان النصراني من معمورة قارة في ٢٨ شباط سنة ٧٠٧٤ لآدم (١٥٦٦ م) كتب للشيخ الرشيد الشماس عزيز نجل المرحوم يوحنا من دمشق ولأولاده الشماس يوحنا وشقيقه الشماس فضل الله على عهد البطريرك الانطاكي يواكيم (أي ابن زيادة المشهور) وفي آخر الرسائل مديح مطول للذهبي الفم في أيوب الصديق

(٩) الفردوس العقلي في بستان الرهبان كتبه شماس البطريركية الانطاكية ابن المرحوم القس سعادة في شباط سنة ٧٠٨٢ لآدم (١٥٧٤ م) وقفه القس موسى سعادة على صيدنايا

(١٠) تفسير رؤيا يوحنا بخط جيل وهو بقلم ابن العسال القبطي المذهب نسخه القس حنا غرز (كذا ولعلها غرة) سنة ١٠٥٧ هـ واشتراه الخوري موسى شاتيلا الدمشقي من بيت خلاط من بنت سيور حرمه سيالة سنة ١٧٨٣ م واشتراه أيضاً ابراهيم بن الخوري جرجس مرقص الدمشقي

(١) وهو هبة الله بن يونس بن ابي الفتح بن هبة الله خزندار الملك الاشرف الذي عاش سنة ٦٢٦ هـ على باب الكنيسة المريمية في دمشق يده اليمنى وفي رجليه لبنة من حديد ونزل عن الخزانة وصودر بأمواله وهرب أهله (كما ذكر ابن أبي شامة في ذيل الروضتين المخطوط)

(١١) النبوآت تفسير كفسي برسم القس الياس داود مرقده نسخ في ١٥ كانون الثاني سنة ٦٩٢٨ لآدم (١٤٢٠ م) وقفه القس مخائيل بن سليمان بن ابراهيم المقدسي

(١٢) أعمال المجامع السبعة نسخه موسى جريس كليه سنة ١٧٦٢ م

(١٣) كتاب السواعي عربه عن اليونانية المطران ملاتيوس كرمه أسقف حلب وفيه ذكر ترتيبات لا تعرف اليوم . وفيه أقوال بشأن الاصوام وفي آخره ثلاث ورقات تذكر تاريخ حوادث جرت في القدس الشريف سنة ١١٠٣ هـ (١٦٩١م) وهي مخاصمة بين الروم والافرنج وكان وكيل الافرنج البادري روفائيل ووكيل الروم مطران اللد نيوفيطوس والحاكم مرطزا باشا على زمن السلطان سليم وبطريرك القدس وقتئذ دوسيثيوس (١) كان في القسطنطينية وكان وكيل الافرنج رجل حلبي اسمه زامريًا (٢)

(١٤) مجادلة بين القديس غريغوريوس رئيس اساقفة مدينة كيغرا كرسي الحبشة و (بين) رجل عبراني اسمه اربان تدور على الايمان بالمسيح وكان اسم ملك الحبشة أوميريطون الارثوذكسي فتنصر بواسطتها كثير من اليهود . وفيه تاريخ الملك والحبشة وقد نقلها من كتاب رومي قديم كبير البطريرك مكاريوس ابن الزعيم ونسخها المقدسي موسى ابن المرحوم جرجس كليه الارثوذكسي الدمشقي سنة ١٧٧٠ م (٣)

السياح الذين زاروا الدير وكتبوا عنه — لاجل الآن لتعداد جميع الذين زاروا

---

(١) هو مؤلف تاريخ بطاركة اورشليم في ١٢ مجلداً باللغة اليونانية

(٢) توجد أسرة حلبية اورثوذكسية الان في حلب بهذا الاسم

(٣) وذكرا الاستاذ حبيب افندي الزيات في (خزائن دمشق) : انه كتب على مخطوط سرياني في صيدنايا اسم واقفه وهو يوسف باسم شماس بن القسيس يوحنا بن قس ضومط من قرية الكفور من جبل لبنان اقليم طرابلس الشام سنة ٦٩٣٩ لادم (١٤٣١ (واسم اثناسيوس اسقف صيدنايا

دير صيدنايا وكتبوا عنه ولكن نشير الى أهمهم . فمن ذكره بوجولا وقال : (ان يوستينيانوس بعث الى الدير بثلاث مئة من عبيده الكرجيين الآمنين وبقيت سلالتهم في سكان صيدنايا) . وهذا لم يروه غيره ولا نعلم مبلغه من الصحة . وذكر الرحالة جراد سنة ١١٧٥ م انه رأى في الدير اثني عشرة متوحدة وثمانية متوحدين . وزاره ثيتمد سنة ١٢١٧ م والاخ توما الملقب باللاهوتي وبالمعلم الطبيب . ورودلف وغليلموس . وكوتيك الهولندي سنة ١٥٩٨م ودوفيو وموندول والدون دوشيطه والآباء بواره وبستون ولامارتين اليسوعيين والبطريرك مكاريوس ابن الزعيم في رحلته الروسية وفي تاريخ البطاركة . وحنا الخوري سكاك القدسي في رحلته الى الشام والاستانة (١) ومجلة المشرق وجريدة البشير وغيرها ولخصت الحاجة هيلانه نهرا الشويرية رسالة عن مخطوط في تاريخه وعما طالعته طبعته بكراس سنة ١٨٩٥ م في ٢٤ صفحة . ووصفه ذاكراً شيئاً من خزائنه ومخطوطاته الصديق حبيب افندي زيلت في (خزائن دمشق) الى غير ذلك مما تغني الاشارة اليه عن ايراده

هذه كلمتي في هذا الدير كتبتها آملا ممن لديه تفاصيل أطول وأدق أن لا يضن علينا بنشرها للاستفادة منها وفوق كل ذي علم عليم

عن دمشق سنة ١٩٢٤ عيسى اسكندر معلوف
عضو المجمع العلمي العربي

(١) وصف هذا الرحالة الدير وكنائسه وصفا مطولا منع ضيق المقام عن نشره